لقاء الوكالة العراقية الدولية بالدكتور إبراهيم الجعفري
2010/11/18
(العراق بعد 2003 والسياسي المفكر)

الوكالة: أنت في حزب الدعوة، ودعوت إلى تيار إصلاحي والآن أول من احتضن أزمة الدعوة والمتمثلة بدولة القانون، وأغلب الملابسات والحوارات والاجتماعات في بيتك، كيف لنا معرفة التقارب والابتعاد عن حزب الدعوة؟

الجعفري: يوجد فكر في الدعوة الإسلامية، وتوجد نمطية عمل وأداة، وهذه الأداة فيها عدة صِيغ، يوجد تنظيم حزب الدعوة، ويوجد حزب الدعوة، ويوجد حركة، ويوجد تيار، فالابتعاد عن تنظيم حزب الدعوة لا يعني الابتعاد عن الدعوة؛ فأنا أحمل فكر حزب الدعوة ومازال، ولا يعني من يخرج عن تنظيم حزب الدعوة قد ترك الدعوة، فمحمد باقر الصدر (قدس الله نفسه) أسّس الدعوة، وبقي يحمل فكرها، واستشهد بسبب انتمائه إلى حزب الدعوة، وفي لحظة تنفيذ الحكم الجائر بحقه لم يكن ينتمي لحزب الدعوة، لكنه يحمل فكر الدعوة، فأنا لا أشعر في تجميدي وارتباطي التنظيمي للحزب التخلي عن فكر الدعوة، فأنا أحمله، وأكتب به، وأتحدث به، وأحاور به، وأساهم في تطويره بناءً على أن الدعوة الإسلامية اليوم دخلت مرحلة جديدة بالانتقال من الداخل إلى الخارج، الداخل الذاتي إلى الخارج الذاتي.. من المعارضة إلى الحكم.. من الانغلاق إلى الانفتاح.. من عصر الحصار الذي فُرض عليها إلى عصر التعاطي.

المقدم: المعروف أن لك تأثيراً في التيار الصدري كقيادة وكقاعدة جماهيرية، والدليل استفتاؤهم الأخير، هل ساهمت بدورك بتقريب وجهات النظر بين التيار الصدري ودولة القانون؟

الجعفري: أنا انظر إلى التيار الصدري منذ أمد بعيد على انه حالة مجتمعية فأنظر إليه كحقيقة مجتمعية، وقبل هذا وذاك أنظر إليه بما يحمل من فكر منذ مرحلة السيد محمد الصدر (قدس الله نفسه الزكية) إذن من الناحية الفكرية أشعر بوجود مقاربة بيني وبينهم، وإن لم نتعارف كشخصيات لكن الذي يقود، ويوجّه بوصلة العلاقة ليس الجانب الشخصي وإنما الجانب الفكري، فرُبّ بعيد عني من حيث البدن قريب مني في الفكرة، ورُبّ قريب مني في الميدان والتعامل وبعيد من حيث الفكر، فالتيار الصدري أعرفه منذ زمن قبل أن أعرفه كأشخاص ورموز، وكنت أنظر إليه من كثب منذ مرحلة ما قبل السقوط، وشعرت أنهم يحملون الفكر الذي ينتزع من السيد الصدر بعمومياته وخطوطه العامة لذلك تفاعلت مع هذا الفكر، وكتبت بحق السيد الصدر (رحمه الله) الصدر الثاني، موضوعاً في المهجر (مع الصدر الثاني في ماورائيته الفقهية) فلديه موسوعة في ذلك الوقت من عشرة مجلدات اسمها (ما وراء الفقه) والآن أعيد طبعها في خمسة عشر مجلداً، وكتبت كذلك موضوعاً ثانياً بعنوان

(من غربة الوعي إلى وعي الغربة) تحدثت عن السيد محمد محمد صادق الصدر، وعندما جئت إلى العراق، ورأيت مكوناته ومركباته المختلفة شعرت أنهم في حالة تيارية اجتماعية ليس فكراً فقط، فالتقيتهم حالة تيارية اجتماعية، وكنت أعمل من أجل أن يشاركوا في مجلس الحكم، ولعل إحدى النقاط البارزة التي اختلفت بها مع بريمر حين أعطاني كلاماً بإشراكهم، ولم يلتزم.

المقدم: كيف ترى تجربة العراق بعد 2003، هل هي تغيير مرتجل، ونحن حالمون، وكيف تقيّم العراق بعد 2003؟

الجعفري: ولادة الديمقراطية، أو ما نتطلع إليه بعد السقوط ليست ولادة طبيعية، لذلك سقط الكثير من المفكرين فضلاً عن الإعلاميين والسياسيين وبعض الجهات سقطوا في وهدة جهل الحقيقة، كما حصلت على الأرض العراقية، اكتنفتها الكثير من الغموض، من ينظر إلى التجربة كيف حصلت يتصور أن ما حصل في العراق من نتاج سياسي هو وليد الدول الغربية، وهذا خطأ ومنهم من يتصور أنه وليد الإرادة الإقليمية وهذا أيضاً خطأ، ما حصل في 2003/4/9 كان تراكماً لإرادة عراقية وطنية، ورحلة مواجهة بدأت عند الشعب العراقي منذ زمن بعيد، مثلاً: حرب ما يسمى بحرب الخليج الأولى، التي هي أطول حرب في القرن العشرين، حصلت من عام 1980 إلى عام 1988 قبلها كانت لدينا إعدامات داخل حزب الدعوة، إذن رحلة المواجهة في العراق ليست ردة فعل على ما حصل في إيران أو ردة فعل على التطورات الدولية ولا على كل شيء، فعل عراقي اعتمل في الوجدان العراقي، وتمظهر على شكل مواجهة.

المقدم: هناك رفض للسلطة خاصة الطبقات التي سُحِقت والمجتمع بشكل عام والمناطق الجنوبية أو المتضررة أو التي نسميها الطائفة الشيعية، لكن هناك خلاف أيضاً على السلطة، في المكوّن نفسه؟

الجعفري: أي ثقافة موروثة من السابق بأن القضية في العراق قضية سنة وشيعة فهي في الحقيقة ليست قضية سنة وشيعة، ليس المشكلة أن يتواجد السنة إلى جانب الشيعة، والشيعة إلى جانب السنة، المشكلة أن تتحول الانتماءات المذهبية إلى نعرات طائفية، مشكلتنا ليست في وجود سني أو شيعي، مشكلتنا في وجود طائفي سنياً كان أو شيعياً..
لم يكن صدام معبّراً عن مذهب السنة، إنما كان طائفياً مقيتاً، وكذلك لم تكن مشكلته تجاه الكرد لأنه عربي، إنما لأنه شوفيني، وإلا فالعرب لا يكرهون الكرد، ولا يكرهون التركمان، لكن الذي يحمل نظرية شوفينية وعنصرية يحوّل الانتماء

القومي إلى انتماء عنصري مثلما يحوّل السني أو الشيعي الانتماء المذهبي إلى عقدة طائفية.
أما الديمقراطية وحلاوتها فإنها تكشف النقاب عن المركبات الطبيعية في البلد، فكل أحد يأخذ قدره بالحكم بما يضاهي قدره في المجتمع، وعندما تكون الكتلة السكانية أو الديمغرافية في البلد كبيرة تأخذ حجماً في الحكم، هذا شيء طبيعي، فالهواجس والمخاوف التي يثقف عليها البعض من وجود الشيعة أو غيرها لا صحة لها.

المقدم: هناك أطراف كثيرة توجه اتهامها إلى إيران ويبدو أنها أصبحت شمّاعة، فهل فعلاً ترى أن الدور الإيراني له أثر سلبي أو إيجابي كما نسمع من بعض الأطراف وخاصة القائمة العراقية؟

الجعفري: إيران شأنها شأن أي دولة أخرى يهمّها من جملة ما يهمها شكل النظام المجاور لحدودها، مثلما يهمنا نحن أيضاً طبيعة البلدان التي تحيطنا وطبيعة الأنظمة التي تحكمها ومدى تدخلها، ليس سراً على أحد أن صدام في مرحلة ما قبل السقوط اعتدى على أكثر من دولة، وكانت إيران واحدة منها، وشن عليها حرباً ضارية عام 1980 إلى عام 1988 وكانت أطول حرب في القرن العشرين، وأطول من الحرب العالمية الأولى، وأطول من الحرب العالمية الثانية، وقد كلفهم الكثير، وضرب مدنهم، وإساء إليهم، كما أنه احتل الكويت، وقرعت أيضاً طبوله في السعودية، ودكّ الرياض بالمدفعية، فهذه الدول أصابها الضرر، وسورية أيضاً كانت تتعرض لاختراقات، إذن من حقها أن تتحين الفرصة لمجيء جار لا يسبب لها الأذى، ونحن من جهتنا نتطلع إلى قطع هذا الطريق وتبديل هذا النظام والمجيء بنظام مسالم.
أما أن تتحول هذه المخاوف إلى تدخلات فهذا نرفضه بضرس قاطع سواء كان من إيران أو من السعودية أو من الكويت أو من تركيا أو من الأردن أو سورية فهذا نرفضه رفضاً قاطعاً، ونحن نراعي مصالح هذه البلد، من حقهم علينا أن يأمنوا شر أي حالة في العراق، كما أننا أيضاً لنا الحق أن لا تأتينا أي شرور منهم..

المقدم: هل القلق من شيعية إيران، فالاتهام الموجّه إلى إيران بالكامل من قبل الدول العربية وخصوصاً السعودية؟

الجعفري: إيران كمجتمعية فيها أكثر من 95% من الشيعة، وأقامت نظاماً مستوحى من فكر إسلامي، فهي كدولة وقاعدة مجتمعية حالة شيعية، وفي العراق الحالة الشيعية أوحت من حيث لا تقصد كأننا على موعد للالتقاء وجعل الحالة الشيعية من مجتمعيات شيعية إلى حالة مسيَّسة، وهناك مجتمعات متعددة في كل بلدان العالم، نحن لسنا أول بلد في العالم، الكاثوليكية حصلت في أوروبا ومجتمعية كاثوليكية حصلت في إيطاليا، وفي ألمانيا، وفي بريطانيا، وفي أيرلندا، وفي فرنسا، والحربان العالميتان الأولى والثانية حصلتا في هذه البلدان، وزعماؤهم من الكاثوليك،

موسوليني كان كاثوليكياً، وهتلر كان كاثوليكياً، وسقط هتلر، وسقط موسوليني، ولم تسقط الكاثوليكية، وكان احتراب بينهم وهم مجتمعيات كاثوليكية، لكن اللحمة الكاثوليكية بقيت..

المقدم: المتتبع لحواراتك وأطروحاتك يجد أنك تميل إلى المفاهيم العامة، ولا تحاول أن تدخل نفسك في التفاصيل.. فالمراقبون للشؤون الفكرية يجدون فيك مفكراً أكثر مما يجدون فيك سياسياً، ماذا تقول في هذا؟

الجعفري: لا أجد بين الفكر والسياسة مقابلة، بل أجد تكاملاً، لأن السياسة فيها تفكير وفيها تنظير، وللسياسة نحتاج مفكراً مثلما نحتاج مفكراً في الشؤون الأخرى، والسياسة فيها جانب تنفيذي سواء كانت معارضة أم سلطة تنفيذية.

أعتقد أننا بحاجة إلى المفكر التنفيذي وإلى التنفيذي المفكر؛ لنصنع تجربة ناجحة، إذن العلاقة بين الفكر والتنفيذ علاقة جدلية.. نحتاج أن نؤّمن لأنفسنا من يستطيع أن ينظّر لإنجاح التجربة، ونحتاج أن نضفي على النجاح طابعاً عملياً، ويضع يده في الميدان.. لننظر إلى التاريخ في عام 1625 قاد فرانسيس باكون بلداً، وكان فيلسوفاً من موقع التنظير، واستطاع أن يخمد الكثير من المشاكل، وكتب كتاباً رائعاً في مجال الفكر.

نحن في مرحلة نحتاج إلى الفكر، وأزمتنا في العمق هي أزمة فكر، ثم جاءنا فكر الأزمة، وهو أخطر من أزمة الفكر؛ لأنه ينظّر للأزمة، ويروّج لها، ويقود الشعب إليها.

المقدم: كثرما تؤكد على توحيد المصطلح في العلوم الإنسانية والفكر.. هل نحن بحاجة إلى من يصنع لنا مفاهيم موحّدة للجميع، وهل هو ممكن في الواقع العملي؟

الجعفري: اهتمامي بالمفهوم متفرع من هويتي الفكرية، ويجب أن يحصل لدينا وعي مفاهيمي؛ لئلا تتسرب أشياء تصدع الجانب الإنساني، وإن كانت مزيّنة من حيث التركيب المصطلحي.

يقول الله تعالى:

((يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)).

فحدّد المصطلح، بأنه لا يجوز أن تقول لرسول الله راعنا؛ لأنه يعني عند اليهود وشاية ونكاية على رسول الله، فالقرآن يشير إلى وجود حرب أو صراع مصطلحات: ((وإذا قيل لهم امنوا كما آمن الناس، قالوا انؤمن كما آمن السفهاء)) بماذا رد عليه؟ قال:

((إنهم هم السفهاء)).

وحسناً فعل هيجل عندما حين قال: عندما أحاور أحداً أقول له حدد مصطلحك، فرب مصطلح عند أحد يعني شيئاً وفي منظومة فكرية أخرى يعني شيئاً آخر، فمثلاً حين

تسمع مفهوم التطهير الجنسي لا يتبادر إلى ذهنك شيء سيء، فيما هو يعني، الإبادة كما الإبادة التي ارتبكت في البوسنة، إذن لابد من تحديد المفهوم؛ حتى نتعاطاه بشكل صحيح.

المقدم: من يقوم بمهمة توحيد المصطلحات في المؤسسة السياسية خصوصاً أننا نعاني أزمة شديدة، كمؤسسة واضحة المعالم؟

الجعفري: أجمل ما في المؤسسة الثقافية أن تبقى مؤسسة ثقافية، ولا تطالها السلطة، حتى لا تمارس الهيمنة عليها، وتبقى ناصية الفكر أعلى من أي ناصية أخرى يحتاجها السياسي، أنا لا أتصور سياسياً من دون فكر، لكن أستطيع تصور فكر ومفكر غير سياسي؛ فحتى نؤمّن لأنفسنا وجود مفاعلات فكرية بشكل صحيح تحفظ لنا الصحيح من التراث، وتنفتح على الحاضر، وتستشرف أفق المستقبل يجب أن نعتمد مؤسسات ومراكز دراسات استراتيجية ومؤسسات مجتمع مدني ومجموعة من المفكرين المجرّبين.

المقدم: الدستور نص على وجود هيئة لاجتثاث البعث، ثم تحولت إلى هيئة المساءلة والعدالة، والآن تشكلت لجنة لتغييرها.. هل تغيّر موقفكم من حزب البعث؟

الجعفري: نحن نفرّق بين حزب البعث وبين البعثيين، حزب البعث كحالة معنوية منحرفة نص عليها الدستور بالمنع بشكل قطعي، ومن يصطدم بهذا يصطدم بحقيقة دستورية، وقيمة كل بلد بدستوره، فلا ينبغي أن نتجاوز على الدستور، إنما نعالج الموضوع بطريقة دستورية، ولكن ما لم يُعدَّل الدستور يجب أن نلتزم به كما هو.
أما البعثيون فيختلفون من قسم إلى آخر، فمن يرتكب منهم جريمة يحاكم مثله مثل أي شخص غير بعثي، أما من كان بعثياً من الناحية التاريخية فلا يدان، ما لم يكن قد ارتكب جريمة، أو كان يريد أن يعيد بناء حزب البعث.
إعادة حزب البعث ممنوعة، فهو قد عرّض العراق إلى مآسٍ، وحوّله من بلد غني إلى شعب فقير جداً بلد حروب وبؤرة توتر في المنطقة.

المقدم: ما حدث في طاولة البارزاني يبدو كصفقة سياسية أعادتنا إلى تشكيل الحكومة السابقة، كيف ترى ما حدث؟ هل اتصل بك الدكتور علاوي أو كيف تفهم علاوي؟

الجعفري: أنا ألتقي مع الأخ علاوي، وحين تلتقي الشخصيات السياسية، وتناقش أي قضية من موقع الارتقاء الرمزي، بتقديري أننا قد وضعنا أقدامنا على السكة الصحيحة، فمن موقع اللقاء نتداول شؤون البلد، ومن موقع الالتقاء نتقاسم المسؤولية في البلد، ومن موقع الالتقاء نواجه الأزمات.

أما كيف أفهم الدكتور إياد علاوي فأنا لا أنظر إلى الشخص بمعزل عمّن انتخبه؛ لأني أعتقد أنه يمثل حجماً ديمغرافياً سكانياً؛ فوفائي لشعبي لا ينفك عن وفائي لخياراته الشعب، ومن يحترم شعبه يحترم خياراته.